

مرة أخرى مفاجأة «سيئة» كالتي لقيتها في لبنان، ومن هنا دقت ساعة الإجهاز على القطاع هيأت له الدبلوماسية الصهيونية في المجتمع الدولي، وكان في إظهارها الشكوى التي تقدمت بها الدولة العبرية مؤخراً إلى مجلس الأمن الدولي، والتي تتضمن تهديداً باستخدام القوة في إطار ما تقوله إنها «مضطرة للدفاع عن نفسها» والهدف هو الحصول على ضوء أخضر، أو على الأقل مباركة ضمنية وصمت دولي على عدوانها القادم على غزة وبطبيعة الحال، وفي ظل الوضع الحالي في القطاع، تستطيع الدولة العبرية الادعاء بسهولة أن هذه المنطقة تقودها العصابات المسلحة أو ما تسميها «دولة الإرهاب الفلسطيني».

فإن جاءت هذه الحملة التي أطلق عليها قادة الجيش الصهيوني اسم «غيوم الخريف»، بعد فترة من التصعيد الإعلامي والسياسي الصهيوني ضد حكومة حماس وفصائل المقاومة واتهامها بالعمل الدؤوب لإنشاء بنى تحتية عسكرية جديده وحقيقية، تستفيد من تجربة المقاومة اللبنانية. وفشل التصعيد السياسي والإعلامي في التحريض على المقاومة دفع الدولة العبرية إلى الارتقاء درجة والانتقال إلى التصعيد الميداني وزيادة التوتر في القطاع وايصال الأمور إلى حافة الهاوية عبر التهديد بإعادة احتلال القطاع وتحديداً الشريط الحدودي الفاصل بين مصر وقطاع غزة، وهذا التهديد يهدف إلى حث مصر على التدخل للعمل ضد المقاومة والتضييق على نشاطاتها وفعاليتها المختلفة، ويهدف أيضاً إلى دفع الرئيس الفلسطيني للتحرك والعمل على وقف إطلاق الصواريخ على المستوطنات الصهيونية بحجة أن ذلك يتعارض مع المصلحة الوطنية ويجلب الويلات على الشعب الفلسطيني.

غيوم اليأس

ومن خلال التعمق في كل الظروف والادعاءات الصهيونية التي سبق التطرق لها سنتوصل إلى حقيقة أن «غيوم الخريف» التي أنتجت مجزرة بيت حانون حملت في طياتها تعبيراً عن اليأس والإحباط الصهيوني من عدم القدرة على إطلاق سراح الجندي الأسير جلعاد شاليت على الرغم من كل الضغوط والحصار الخائق المفروض على قطاع غزة. كما حملت ياساً صهيونياً من فشل محاولاتها الإيقاع بين الفلسطينيين. فأحد الأهداف الصهيونية البارزة من الاجتياح الحالي محاولة عرقلة وتعطيل المشاورات الفلسطينية الرامية لتشكيل حكومة وحدة وطنية. فالوحدة الفلسطينية على أساس وطني واقعي، ودون قبول صريح ولا رفض حازم للاشتراطات الصهيونية آخر ما تريده الدولة العبرية. ■

والشؤون الخارجية في الكنيست الصهيوني الذي قال «إن عملية بيت حانون أطلقت بعد استخلاص العبر مما حصل خلال حرب لبنان هذا الصيف»، وإن ما حصل في لبنان مع حزب الله علمنا أن الانتظار دون القيام بشيء على مدى سنوات يمكن أن يكلفنا غالياً جداً». وأكد هنجبي للإذاعة العبرية أن حرباً مع الفلسطينيين لا مفر منها، ويجب الاستعداد لها.

الوضع الصهيوني الداخلي

التباينات المشروعة في الآراء بين المستويين السياسي والعسكري الصهيوني حول ضرورة شن عملية عسكرية واسعة النطاق في قطاع غزة تحولت إلى جزء من صراع البقاء غير المشروع الذي يقوده أولئك الذين أداروا حرب لبنان الثانية، وهو ما جاء في صحيفة «هآرتس» ٢٠٠٦/١١/٢ تحت عنوان «ما الذي يحرك الجيش الإسرائيلي».



كل هذه الظروف قادت لدق طبول الحرب على غزة بدأها رئيس الأركان الصهيوني دان حالوتس، الذي طالب صراحة بإيجاد حل عسكري لمسألة إطلاق الصواريخ من قطاع غزة باتجاه المدن الصهيونية. وهذا الحل من وجهة نظره يتمثل في عملية برية مستمرة وعميقة في القطاع، ولتبرير هذا الهجوم العسكري ادعى حالوتس أن القطاع تحول إلى مركز لتجميع السلاح من مختلف الأصناف، بما في ذلك صواريخ كاتيوشا وغراد، وصواريخ مضادة للدروع وأخرى مضادة للطيران، مع وجود مدربين عسكريين مؤهلين، تلقوا تدريبهم في الخارج على أيدي الإيرانيين ورجال حزب الله.

وحسب وجهة النظر هذه فلا بد من العمل السريع والجدري في القطاع، حتى لا تواجه الدولة العبرية

وهو ما دعا إليه أفيغدور لبيرمان زعيم حزب «إسرائيل بيتنا» والعنصري المتطرف الذي دعا إلى المطالبة بأن يسير الحل السياسي مع الحل العسكري، والحل السياسي الذي يقصده لبيرمان هو العمل على إيجاد قيادة بديلة عميلة بين الفلسطينيين تحل محل القيادة الحالية، وإخراج قطاع غزة من دائرة الصراع يهدف إلى فرض الحل الصهيوني المرسوم والذي أخذ أشكالاً مختلفة طوال السنوات الماضية، من محاولة باراك لفرض الحل النهائي على مقاس الشروط والأهداف والمصالح الصهيونية العام ٢٠٠٠ في مؤتمر كامب ديفيد، إلى شن الحرب على الفلسطينيين لإجبارهم بالقوة على قبول ما رفضوه على طاولة المفاوضات، إلى محاولات شارون لتطبيق أهداف سلفه من خلال توسيع الحرب ضد الفلسطينيين والعمل على تغيير وعيهم وقيادتهم لفرض مشروع شارون الذي كان يعرف باسم الحل الانتقالي طويل الأمد

متعدد المراحل، ثم أخذ يعرف بالخطوات أحادية الجانب التي بدأت بفك الارتباط من قطاع غزة، وكان من المقرر استكمالها بتطبيق خطة الانطواء في الضفة. وذات المراكز الصهيونية لا تزال مستمرة بصرف النظر عن من يحكم الدولة العبرية، فالاستيطان مستمر، والجدار يستكمل، وتقطع الأوصال للأراضي الفلسطينية وجعل حياة الفلسطينيين جحيماً لا يطاق مستمر، وتهويد القدس وفصلها عن بقية الأراضي المحتلة يتعمق كل يوم. أما الخلاف بين المشاريع الصهيونية فهو حول المدى والأشكال والسميات.

أما الحقيقة الكبيرة الأخرى التي تقف وراء هذه الحملة والمجزرة فهي الرابطة ما بين فلسطين ولبنان كما عبّر عنها تساحي هنجبي رئيس لجنة الحرب